فصل الشتاء في حياة الفلاح الفلسطيني

فصل الشتاء هو فصل الخير والبركة والعطاء . . . يمتاز هذا الفصل باهمية خاصة في حياة الفلاحين في جميع المناطق التي تعتمد زراعتها على ماء المطر – وبما أن بلادنا تقع في المنطقة المدارية الجافة لهذا فان فصل الشتاء يلعب دورا هاما في حياة فلاحنا، فالعلاقة التي تربط الفلاح بالمطر هي علاقة حب عميق ، فهو ينتظر محبوبه بشوق عظيم ويقف الساعات الطوال امام شباك بيته يرقب تساقط قطرات الماء وهي تعانق ارضه الطيبة التي تشده اليها قصة حب ابدية ، وهكذا. يتعانق الاحبة الثلاثة الماء والارض والانسان فلا عجب والحالة هذه أن يكون هذا الفصل رغم برودته وصقيعه احب الفصول الى شعبنا حيث يتفاعل معه بكل جوارحه –

يبدأ فصل الشتاء (١) في بلادنا في الثاني والعشرين من كانون الاول (الانقلاب الشتوي) وينتهي في الحادي والعشرين من آذار (الاعتدال الربيعي) ومدته تسعة وثمانون يوما وساعتان .

ويقسم الفلاحون فصل الشتاء الى قسمين « المربعانية والخمسينية » والمربعانية مدتها أربعين يوماً وتبدأ في الثاني والعشرين من كانون الاول وتنتهي في الحادي والثلاثين من كانون الثاني ونتيجة الخبرة الطويلة بها نجدهم يقولون فيها « المربعانية يا شمس تحرق يا مطر تغرق » ، « المربعانية يا بتربع يا بتقبع » . (٢) ومعنى هذا انهم يعتمدون على كمية المطر الساقطة فيها من أجل مزروعاتهم واعطائهم مردوداً طيباً .

(١) يقسم البعض السنة الى قسمين موسم الشتاء من ٢٧ ايلول الى ٦ أيار والثاني موسم الصيف ولهذا يقولون «سلم الصيف ع الشتاء » اي لقرب نهاية الصيف وبداية الشتاء ، وهذا الجدول يبين كمية المطر الساقط في منطقة بير زيت في نصف السنة الماطر بالملمترات : –

السنة	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	المجموع
١٩٧٢ –	٥٠	٦٢	٧٥	٩ر١١٥	٨٠	٢٩	٢		٤١٣ر٩
١٩٧٣	٨ ٥ر٨٤	٥٤	٢١٩	٥٠	٥ر٨٦	١١	٤		٥١٧
١٩٧٤ –	١٠٢	٥ر١٥٩	٥ر٤٤٥	٥ر١٥٣	٧٢	٤٩	–		٥ر٩٨١

(٢) بتربع : تسمن لكثرة العشب ، بتقبع تضعف وتزول لقلة المطر والعشب .

ونستطيع أن نتبين صدق كلامهم من الجدول التالي (٣) الذي يبين كمية المطر الساقطة في فترة المربعانية في منطقة بير زيت خلال الاربع سنوات الاخيرة بالميلمترات : –

السنة	كمية المطر في المربعانية	كمية الامطار السنوية	النسبة المئوية
٧١ – ١٩٧٢	١٤٥	٥٥ر٥٤٩	٣٧ و٢٦ ٪
٧٢ – ٧٣	٢١٩	٥٠ر٤٨٢	٣٨ر٤٥ ٪
٧٣ – ٧٤	٤٤٨	٥٠ر٨٦٦	٧ر٥١ ٪
٧٤ – ٧٥	٦٦	٥٠ر٦١٩	٦٥ر١٠ ٪

ويعتمد فلاحنا كثيرا على امطار المربعانية ففيها يزرع الحبوب ، في فترتين الاولى قبل المربعانية وسقوط المطر ويسمى « عفير » والثانية بعد سقوط المطر ، وفي فترة المربعانية وتسمى «ري » ، وهنا نلاحظ ان العفير والري يعتمد على امطار المربعانية، وهم يمتنعون عن زراعة الحبوب بعد انتهاء المربعانية فيقولون « لما يطلع الحنون ظب بذارك يا مجنون »(٤) والري عند الفلاحين ريان ري شتوي(٥) وري صيفي ، ويكون الشتوي في فترة المربعانية لذلك فالزراعة بدون ري شتوي لا تأتي بمردود طيب ولذلك تجد أن آخر موعد لزراعة الحبوب هو ما يسمونه «الطنعشاريات »(٦) ويقولون في الامثال «اللي ما بزرع في الاجرد عند الصليبة يحرد »(٧) كما يسمون كانون الثاني « فحل الشتاء» وذلك في تعبيرهم القحت الارض وتلقح الارض اذا كانت كمية الامطار الساقطة كبيرة بحيث تصل الى اعماق التربة لتصل الى جذور الاشجار اذ ان من المعروف ان نباتات حوض البحر المتوسط تمتاز بغور جذورها الى اعماق التربة لتصل الى الرطوبة فيقولون «القح الشجر » ولأمطار المربعانية اهمية اخرى ففيها تزرع اشجار الزيتون التي تشتهر به بلادنا كما ان لمطر المربعانية اهمية في اعطاء مردود طيب للزيتون « سيل الزيتون من سيل كانون ». والقسم الثاني من فصل الشتاء يسمونه (الخمسينية) (٨) ومدتها خمسون يوماً وتبدأ من اول شباط الى الثاني والعشرين من اذار ويقسمونها الى اربعة اقسام كل قسم اثنا عشر يوما ونصف اليوم :–

(٣) هذا الجدول مأخوذ عن دفتر مقياس المطر في مدرسة الامير حسن الثانوية ببير زيت

(٤) ظب. احفظ ، خبأ. الحنون . شقائق النعمان وتزهر في اوائل شهر شباط (بداية الخمسينية).

(٥) الري الشتوي ويستدلون عليه اذا لم تصل سكة المحراث البلدي التربة الجافة اي يكون المطر نازلا في التربة على عمق الشبر (٢٠ سم .)

(٦) الاثنا عشريات وتساوي اثنا عشر يوما الاخيرة من المربعانية ويعتقدون أن الزراعة فيها تقي نبات القمح من اصابته بالدودة ويقول اسطفان انها الفترة الواقعة بين عيد الميلاد وعيد الغطاس وأنها مرهوبة لامطارها الغزيرة وفيها يلجأ بحارة يافا الى وضع سفنهم الشراعية في مكان امين قبل هذه الفترة بايام . راجع مجلة التراث المجلد الاول – العدد الاول ١٩٧٤ ص ١٠٤ حاشيه ١.

(٧) الأجرد : كانون الثاني اذ تتجرد الاشجار من اوراقها .